كلمةُ الأب البروفسور جورج حبيقة

رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

في حفل رفع الستار عن تمثال نهاد نوفل

في زوق مكايل، في ٢٦ نيسان ٢٠١٩

صاحبةَ المعالي،

أصحابَ السعادة، أيها الحفلُ الكريم،

نتحلق اليوم حول من كان في أصل نموذَجِيّة زوق مكايل. إن ظاهرة نهاد نوفل إنما تؤكد لنا أن لبنان يختزن من الطاقات الإبداعية ما يكفي لوضعه في مدار الدول المتحضّرة والمتمدّنة. بيد أن هذا العبور من التخلف إلى التمدن يتوقف حصرا على قرار جريء وعنيد يأخذه المسؤول بكل رؤيوية وشفافية ويُقنع المواطنين بجدوى الانخراط في هكذا مشروع تطويري، خدمة للإنسان وكرامته.

جميعنا يعرف أن كلمة République أو Republic تشتق من مفردتين لاتينيتين : Res أي الشيء أو الشأن أو الخير أو المصلحة، و Publica أي العام. فإذا الدولة أو الجمهورية تقوم حكرا على الشأن العام، أي بتعبير آخر على ما يخص الشعب بأكمله من دون أي استثناء.

فإذا جُلنا بنظرنا في جميع أنحاء لبنان، لوجدنا أن الشأنَ العام في الكثير من المناطق فقيرٌ، يتيمٌ، مشرّد، ملقىً على قارعة الطرقات يتسول اهتماما ونظرة وشفقة، وليس من يرأفُ به ويتحنّن على بؤسه ويعالج مصائبه. بينما الشأن الخاص، Res Privata أي la chose privée و the private matter or thing، يرفل في أغلبية الأحيان بأجمل حلله، يجمع الأناقة إلى الجَودة، النظافة إلى حسن الهندام. لا نغالي البتة إن قلنا إننا نذير الشأن الخاص باهتمام مرضي يلامس الهوس. نضخ فيه جميع قوانا وإمكاناتنا وتذوقنا الجمالي. لذا نرى قصورا من الخيال بهندستها وموقعها وأثاثها في مكان يفتقر إلى أبسط مقوّمات البنى التحتية. لماذا هذه الفجوة العبثية والمستهجنة في لبنان بين ما هو خاص وما هو عام؟ على هذا التساؤل الاستهجاني، يجاوبنا المؤرخون أن اللبناني لم يتمتع إلا بسنين قليلةٍ من الحكم الذاتي، أما في ما تبقى من القرون فكان رازحا تحت احتلال قاهر مذل متحكم في جميع مفاصل الشأن العام، إلى درجة بات معها هذا الأخيرُ رمزا للقهر والابتزاز. من هنا، يتابع المؤرخون، بات الشأن العام في اللاّوعي الاجتماعي والسياسي للبناني مساحةً عدوّة يديرها محتلٌ غاشمٌ وظالم.

من يُعتقنا من هذا اللاوعي المرضي الذي يعتقلنا في شبكة علائقية عدائية مع ما هو شأن عام؟ نهاد نوفل هو من بين رُوّاد المصالحة بين الشأنين الخاص والعام. انتفض على موروثات التاريخ المأساوية ولم يقم أيّ صداقة مع منهجية الاستسلام والخنوع. وهكذا بمخزونه الحقوقي والثقافي المتشعّب والغنيّ، قاد حركةً تنمويةً جارفة. ففعّل وزخّم طاقاتِ زوق مكايل الشبابية واستنفر جميعَ قوى المدينة من كل الأعمار ومن كل الآفاق التخصصية لجعل زوق مكايل حاضرةً نموذجيةً تليق بحداثة القرن العشرين ومطلع الواحد والعشرين. يقوم إنجازُه التاريخي على أنه نجح مع معاونيه في إقناع ابن زوق مكايل أن الشأن العام إنما هو بمثابة الشأن الخاص، لا بل أعلى منه رفعةً وأهميةً وإنسانية. أقنعه بأن لا شيءَ خاصاً بمقدوره أن ينمو ويستمر بدون الشأن العام. هذا الأخير هو ركيزةٌ أساسية لكلّ شيء. إنه الحاضنةُ للمواطنة المتفاعلة والفاعلة. من الشأن العام ينطلق كلُّ شيء وإليه يعودُ كل شيء. في نظرة نهاد نوفل، إن الحدود بين الشأنين العام والخاص ليست للفصل، بل للتكامل.

وهكذا بات الزوقي ينظر إلى القصر البلدي كأنه بيتُه، وإلى المدرَّجِ الروماني كخلفية أثرية لمنزله الجديد، والسوقِ القديمة كإرث من أجداده، يؤمن التواصلَ الحي بين ما اندثر من الأيام والآتي منها؛ والملعبِ البلدي الرفيع بتقنياته واستيعابيته كمساحة مميزة لتلاقي المهارات البدنية والترفيهية والموسيقية؛ والشوارعِ الأنيقة كامتداد لمداخل منزله وأروقته.

في هذه الإنجازات الكبيرة التي حقّقها نهاد نوفل، كان لجامعة الروح القدس الكسليك، التي صُنفت مؤخرا من قبل المؤسسة الإنكليزية الشهيرة QS بين أولى جامعات لبنان، الفخرُ والفرحُ في انضمامها إلى وُرشٍ عديدةٍ عبر اتفاقياتٍ مع ثلاثٍ من كلياتنا، كليةِ الهندسة المعمارية التي تعتبر بين الأُول في لبنان والمنطقة، التي توفِّق ببراعة بين الاعتماد الأوروبي والاعتماد الأمريكي الـ National NAAB Architectural Accrediting Board؛ وكليةِ العلوم الزراعية، الحاصلةِ على الاعتماد الأمريكي ABET، للاهتمام بالأشجار والأزهار وتصميم الحدائق، وكليةِ الطبّ للمساهمة في تأمين الخدمات العلاجية في مستوصف زوق مكايل. وتتويجا لهذا التعاون المستدام والمثمر واعترافا بريادية العلم والثقافة في تطوير إقامة الكائن البشري في مدن متآلفة مع كرامته وأبعاده العلائقية، منحته جامعة الروح القدس الكسليك، إبان الرئاسة المميزة والمتألقة للأب البروفسور هادي محفوظ، درجةَ الدكتوراه الفخرية.

في نهاية كلمتي، أراني مندفعا تلقائيا إلى أن أطلب إليكم جميعا، بالرغم من كل الأزمات التي نتخبط فيها والتي تتناسل من بعضها البعض لتجعل من لبنانَ أَخصبَ بلد في إنتاج المصاعب وتنويعها وبالتالي أنجعَ بلدٍ في معالجة السأم والضجر: ابتسموا، إنكم في مدينة نهاد نوفل. وشكرا.